المطلب الأول

دعوة غير المسلمين بالإحسان إليهم

إن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، وصالحة لكل زمان ومكان، فهي تحوي مقومات الصلاحية والملاءمة، لكل عصر ومصر، ولما كانت الدعوة الإسلامية عالمية، فإن الله سبحانه أناط بالأمة الإسلامية مسؤولية إبلاغها للناس كافة بالوسائل والأساليب المشروعة والممكنة والملائمة، حتى يمكن عرض محاسن الإسلام ودعوة الناس وترغيبهم في الدخول فيه، وقد تواترت النصوص القرآنية التي تؤكد على وجوب الدعوة إلى الله تعالى، وبعيداً عن الدخول في تفصيلات نوعية الوجوب واختلاف أهل العلم في ذلك؛ لأنني أرى عدم مناسبة الحديث عنه الآن في هذا التمهيد السريع والموجز، أقول: إن النصوص القرآنية أكدت على عالمية الدعوة الإسلامية وكونها جاءت للناس كافة، ومن تلك النصوص ما يلي:-

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [1] .

وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [2] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [3] .

وقال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [4] .

وقد أكد النبي ﷺ على عالمية الدعوة الإسلامية فقال:(أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء: قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأيما رجل من

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(٢) سورة الأعراف جزء من الآية ١٥٨.

(٣) سورة سبأ الآية ٢٨.

(٤) سورة النحل جزء من الآية ١٢٥.

أمـــتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة) [1] .

وتأسيـــساً علـــى هـــذه النصوص الشرعية، فإن الدعوة الإسلامية للناس كافة بأصنافهم ومستوياتهم وألوانهم وأجناسهم.

من هذا المنطلق ينبغي العناية بدعوة غير المسلمين سواءً أكانوا أهل كتاب أم غير ذلك من الوثنيين والماديين ومن ضلوا وممن لا يدينون بالإسلام.

يقـــول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–[2] "والخلق صلاحهم وسعادتهم في أن يكون الله معبودهم الذي تنتهي إليه محبتهم وإرادتهم، ويكون ذلك غاية الغايات ونهاية النهايات وهو الذي يجب أن يكون المراد المقصود بالحركات"[3] .

وقـــد حـــرص النبي ﷺ على دعوة الناس كافة وبين رسول الله ﷺ حرصه الشديد على إبعـــاد أمته عن كل ما يضرهم؛ فقد روى الإمام مسلم[4] عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :(مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي) [5] .

" وحينما ننظر إلى سيرته المطهرة عليه الصلاة والسلام نجده كان يدعو في جميع الأماكن والأزمان والأحوال، ودعا جميع أصناف الناس كما استخدم جميع الأساليب والوسائل المشروعة المتاحة له.

---

(١) صحيح البخاري –كتاب التيمم– باب قول النبي ﷺ (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) رقم الحديث ٤٣٨.

(٢) هـــو تقـــي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني شيخ الإسلام، ولد بحران سنة ٦٦١ هـــ، من أسرة مشهورة بالعلم والصلاح كان عالمًا بارعًا مجتهدًا ناصرًا للسنة قامعًا للبدعة وله مصنفات عديدة وتوفي سجينا بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـــ.

انظر: العقود الدرية لابن عبدالهادي، والبداية والنهاية لابن كثير ١٤/١٤٠.

(٣) درء تعارض العقل والنقل– تحقيق د. محمد عطية سالم –٩/٣٧٢-٣٧٣–ط١-١٤٠٢هـــ مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٤) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، ثقة حافظ إمام مصنف عالم بالفقه، صاحب الصحيح، مات سنة ٦١، وله ٥٧ سنة، انظر: سير أعلام النبيلاء – الذهبي ١٢/٥٥٧، تقريب التهذيب لابن حجر ص٥٢٩.

(٥) صـــحيح مسلم – كتاب الفضائل– باب شفقة النبي ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم عما يضرهم– رقم الحديث ٢٢٨٥.

ومـــن إتيانه عليه الصلاة والسلام الناس في أماكنهم للدعوة إلى الله تعالى، أنه كان يأتي مـــنازل الناس بمنى في الموسم؛ فقد روى الإمام الحاكم عن ربيعة بن عباد الدؤلي يقول: رأيت رســـول الله ﷺ بمنى في منازلهم قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول: (يا أيها الناس إن الله أمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا).

قـــال: ووراءه رجل يقول: يا أيها الناس إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم، فسألت عن هذا الرجل فقيل: أبو لهب" (١) .

ولم يكـــن خروجه ﷺ للدعوة إلى منازل الناس ومجالسهم في المرحلة المكية فحسب، بل استمر على ذلك بعد هجرته إلى المدينة النبوية، فقد روى الإمام البخاري عن أنس ﷺ قال: قـــيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله ابن أبيّ، فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حماراً فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة (٢) فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك. فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحًا منك" (٣) .

"ولم يكـــن اهـــتمامه ﷺ بدعوة كبار الناس فحسب عند إتيانه منازلهم، بل اعتنى أيضاً عناية شديدة بدعوة عامة الناس" (٤) .

كـــل ذلـــك يؤكد على أهمية دعوة غير المسلمين؛ لأن نصوص القرآن الكريم ونصوص الـــسنة النبوية المطهرة أكدت على ذلك وأن النبي ﷺ لم يفوت فرصة واحدة إلا واستغلها في دعوة كافة الناس.

إن أهم ماينبغي التركيز عليه في دعوة غير المسلمين هو التوحيد وغرس العقيدة الصحيحة في نفوسهـــم؛ فقضيـــة التوحيـــد هي القضية الأساس التي بعث الله تعالى لأجلها الأنبياء والرسل، قال تعالـــى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠

---

(١) المـــستدرك علـــى الصحيحين – كتاب الإيمان١/١٥ وقال الإمام الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ورواته عن آخرهم ثقات أثبات ووافقه الذهبي حيث قال عن الحديث: على شرطهما (التلخيص للحافظ الذهبي ١/ ١٤ مطبوع بذيل المستدرك على الصحيحين- بدون رقم أو سنة طبع- دار إحياء التراث العربي).

(٢) سبخة: بفتح السين والباء وهي الأرض التي لا تنبت لملوحة أرضها شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/١٥٩.

(٣) صحيح البخاري –كتاب الصلح باب: ماجاء في الإصلاح بين الناس- رقم الحديث٢٩٦١.

(٤) انظر: الحرص على هداية الناس في ضوء النصوص وسير الصالحين –د. فضل إلهي ص١٨-٢٥-ط٤-١٤١٩هـ – ١٩٩٨م مؤسسة الجريسي – الرياض.

فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [2] .

فالقضية الأساسية التي يبدأ بها ويركز عليها هي قضية التوحيد، ثم تأتي بعد ذلك التشريعات والتكليفات.

وإن مما ينبغي التأكيد عليه في هذا الصدد، أن دعوة غير المسلمين إلى العقيدة الصحيحة والالتزام بما أمر به الشرع واجتناب ما نهى عنه، تكون بالأقوال والأعمال والقدوة الحسنة وغير ذلك من الوسائل؛ كالدعوة إلى الله تعالى بالكتابة والدعوة إلى الله من خلال الأعمال الخيرية والإغاثية والمعاملة الطيبة لهم، والتي يتم من خلالها بيان محاسن الإسلام ورحمته وتحقيقه للمطالب الإنسانية المشروعة.

"إن كثيراً من أفعال الخير تعرفها الفطرة وتعلمها الطبائع الإنسانية بحكم جبلّتها وفي غريزة البشر حب المشاركة في الخير، فإغاثة الملهوف وإرشاد الضال أو نصرة المظلوم وغير ذلك من أفعال الخير وصور البر التي تمثل الجانب العملي في أساليب الدعوة، وطرق التبليغ أمر ليس مقصوراً على العلماء وحدهم، وإنما هو أمر تتسع دائرته لجهود عوام المسلمين أيضاً.

إن العامة إذا كانوا غير قادرين على دعوة غير المسلمين بالأسلوب النظري المرتبط بالمناهج الدعوية المدروسة فهم قادرون على دعوتهم بالأسلوب العملي. إن العامة قادرون على المساهمة في تمويل المشاريع التي تخدم دعوة غير المسلمين" [3] .

إن دعوة غير المسلمين تكون بالإحسان إليهم وتأليف قلوبهم وترغيبهم للدخول في الإسلام؛ لأن ذلك من شأنه أن يؤثر في نفوسهم فيقوي دافع الاستجابة لديهم.

قال تعالى: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [4] .

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٥.

(٢) سورة آل عمران الآية ٦٤.

(٣) انظر: دعوة غير المسلمين إلى الإسلام -د. عبد الله اللحيدان -ص٧٠-٧١-ط١-١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م -مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان- الرياض.

(٤) سورة الممتحنة الآية ٨.

قال الشيخ عبدالرحمن ابن سعدي رحمه الله:"أي لا ينهاكم الله عن البر والصلة والمكافأة بالمعـــروف والقسط للمشركين من أقاربكم وغيرهم حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم فليس عليكم جناح أن تصلوهم" [1] .

قـــال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز-رحمه الله- "معنى الآية: الرخصة في الإحسان إلى الكفار والصدقة عليهم إذا كانوا مسالمين بموجب عهد أو أمان أو ذمة "[2] .

" مر عمر بن الخطاب ﷺ عند مقدمه من أرض الشام بقوم مجذومين من النصارى فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجري عليهم القوت" [3] .

قـــال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- "يجوز بل يجب الإعطاء لتأليف من يحتاج إلى تأليـــف قلبه، وذكر أن المؤلفة قلوبهم نوعان: كافر ومسلم؛ فالكافر إما أنه يرجى بعطيته منفعة كإسلامه أو دفع مضرته إذا لم يندفع إلا بذلك، والمسلم المطاع يرجى بعطيته المنفعة أيضاً" [4] .

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [5] .

قـــال الشوكاني –رحمه الله-[6]: "المؤلفة قلوبهم هم قوم كانوا في صدر الإسلام فقيل هم الكفـــار الذين كان النبي ﷺ يتألفهم ليسلموا، وكانوا لا يدخلون في الإسلام بالقهر والسيف، بـــل بالعطـــاء، وقـــيل: هم قوم أسلموا في الظاهر ولم يحسن إسلامهم، فكان رسول الله ﷺ يتألفهم بالعطاء، وقيل هم من أسلم من اليهود والنصارى، وقيل: هم قوم من عظماء المشركين

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان –ص ٨٥٧.

(٢) نقد القومية العربية –ص ٣٦-ط٥-١٤٠٣هـ- رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد-الرياض.

(٣) انظر: فتوح البلدان- أحمد بن يحيى البلاذري-ص ١٣١-ط١-١٤٠٣هـ.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٩/٢٨.

(٥) سورة التوبة الآية ٦٠.

(٦) هـــو محمـــد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ثم الصنعاني، ولد في بلدة هجر شوكان سنة ١١٧٣هـ، وطلب العلم، وبرع فيه وصنف عدة مصنفات قيمة وتوفي سنة ١٢٥٠هـ.
انظر : البدر الطالع للشوكاني ٢١٤/٢، والأعلام للزركلي ٢٦١/٣.

لهم أتباع أعطاهم الرسول ﷺ ليتألفوا اتباعهم على الإسلام [1] .

وقـــال ابن سعدي: "المؤلف قلبه هو السيد المطاع في قومه ممن يرجى إسلامه أو يخشى شـــره أو يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره أو جبايتها ممن لا يعطيها فيعطى ما يحصل به التأليف والمصلحة" [2] .

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله– عن الإحسان إلى الكافر:–

"يحسن إليه ولا يؤذى في جواره. ويتصدق عليه إن كان فقيراً، ويهدي إليه إن كان غنيًا وينصح له فيما ينفعه؛ لأن هذا مما يسبب رغبته في الإسلام ودخوله فيه" [3] .

"ويجوز للمسلم أن يواسي جاره الكافر من لحم الأضحية، ويوسّع عليه؛ تأليفًا لقلبه وأداءً لحق الجوار ولعدم وجود ما يمنع ذلك من الأدلة، ولعموم قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [4] [5].

روى الترمذي: أن عبد الله بن عمر ﷺ ذبحت له شاة في أهله، فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) [6] .

إن هذه النصوص الشرعية تؤكد على الإحسان إلى غير المسلمين والعدل فيهم وتوظيف المال في إعانة الفقراء والضعفاء منهم والإهداء إلى أغنيائهم، كل ذلك طمعًا في إسلامهم، ويعد ذلـــك من قبيل الحوافز التي تحفزهم على الدخول في الإسلام وتظهر محاسن الإسلام ومبادئه في التعامل مع المخالفين.

"إن الوصول إلى قلوب المدعوين من غير المسلمين إنما يكون بمعرفة نفسياتهم ومشاعرهم

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ص ٧١٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣٤١.

(٣) مجموع الفتاوى– عبد العزيز بن باز ٢٦٦/٤.

(٤) سورة الممتحنة آية ٨.

(٥) فـتاوى هيـئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية – جمع وترتيب– صفوت الشوادفي–ص ٧٠– الفتوى رقم ٢٨٢١.

(٦) سنن الترمذي – كتاب البر والصلة– باب ماجاء في حق الجار، وذكره الألباني في صحيح الترمذي –١٨٣/٤.

وعواطفهم، والداعية عليه أن ينتهز الفرص لتقريب دعوته إلى غير المسلمين، ومما يتعلق ببر غير المسلمين، وهو من وسائل دعوتهم وتحبيب الإسلام إلى نفوسهم، إعانتهم بالمال عند الحاجة ومن ذلك: كفالة العاجز منهم عن العمل أو كبير السن، وهذا ما سار عليه الخلفاء الراشدون في صدر الإسلام في معاملاتهم لأهل الذمة، ففي خلافة الصديق ﷺ كتب خالد بن الوليد ﷺ في عقد أهل الذمة لأهل الحيرة بالعراق وكانوا من النصارى [1] : "وجعلت لهم أيّما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيًا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله" [2] .

"ومر عمر بن الخطاب بباب قوم عليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟

فقال: يهودي، فقال: فمن ألجأك إلى ما أرى؟

قال أسأل الجزية والحاجة والسن، قال فأخذ عمر ﷺ بيده فذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا أو ضرباءه؛ فوالله ما أنصفنا أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ الفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب ووضع عنه الجزية وضربائه" [3] .

وفي ختام هذا المطلب أود أن أقول: إن الإحسان إلى غير المسلمين ومساعدة فقرائهم وعلاج مرضاهم، وتقديم أي نوع من أنواع الخدمات الإنسانية والإغاثية له أصول شرعية يستند إليها من الكتاب والسنة وعمل الصحابة ﷺ، وهذا ما أردت التأكيد عليه في هذا المطلب الذي تحدثت فيه بإيجاز عن التأصيل الشرعي لمساعدة غير المسلمين وإعانتهم في المجالات الاجتماعية المختلفة وظروفهم الطارئة، وتوظيف المال في الدعوة إلى الله تعالى وترغيبهم للدخول في الإسلام، فالنفوس البشرية لها مداخل، ولعل المال واستخدامه في تقديم المساعدات الإنسانية والاهتمام بشؤون الفقراء والمحتاجين من غير المسلمين كل ذلك يشكل مداخل مهمة

---

(١) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام د. عبد الله بن إبراهيم اللحيدان – ص١٥٩.

(٢) كتاب الخراج – يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف–ص ٣٠٦- بدون ذكر رقم طبع ١٣٩٩هـ- دار المعرفة – بيروت.

(٣) المرجع السابق، ص ١٢٦.

للتأثير على نفوس غير المسلمين.

فالنفوس اعتادت على حب من يحسن إليها، فإذا كان ما يقدم من خدمات ومساعدات لغير المسلمين يقدم باسم الإسلام فإن ذلك سيكون باعثًا -إن شاء الله تعالى- على حبهم للإسلام واهتمامهم بهذا الدين والاستجابة لدعوتهم للدخول فيه.

ولما كان المال من الأهمية بمكان فإن الوقف الإسلامي يمكن أن يؤدي وظيفة عظيمة في مجال دعوة غير المسلمين ويكون له أثره الكبير في استمالة قلوبهم عن طريق الأعمال الإغاثية المدعومة والممولة من المؤسسات الوقفية في العالم الإسلامي، إن النصارى قد قطعوا شوطًا كبيرًا في تقديم المساعدات والخدمات للمنكوبين من المسلمين ومن غير المسلمين بهدف إدخالهم في النصرانية وجندوا لهذه الغاية امكانات مادية هائلة وطاقات بشرية مؤهلة لمباشرة هذه المهمة.

وإن المسلمين أولى بذلك؛ حيث يأمر الإسلام بإعانة غير المسلمين من المحتاجين لأجل دعوتهم للإسلام من خلال تأليف قلوبهم.